

تفسير البحر المحيط

@ 223 @ نور الفجر تنويراً قاله : علي ومجاهد ، أو هو مجاز والمراد غلبة الماء وظهور العذاب كما قال صلى الله عليه وسلم (لشدة الحرب : { * حمى الوطيس } والوطيس أيضاً مستوقد النار ، فلا فرق بين حمى وفار ، إذ يستعملان في النار . قال الله تعالى : { أَلْقُوا فِيهَا سَمْعُ بَعُوضٍ وَأَلْقُوا فِيهَا شِهَابًا كَثِيرًا وَهُنَّ يَأْكُلْنَ الْفَرَاسِقَ وَلَا يَرُودُ عَلَى الْوُجُوهِمْ ظِيلٌ وَلَا يُلْمَسُ فِيهَا جِثٌّ لِيَلْجَأَنَّ إِلَى ظِلِّهِمْ فَلَاحِقٌ لَّهُمُ النَّارُ } . والظاهر من هذه الأقوال حمله على التنور الذي هو مستوقد النار ، ويحتمل أن تكون أل فيه للعهد لتنور مخصوص ، ويحتمل أن تكون للجنس . ففار النار من التناير ، وكان ذلك من أعجب الأشياء أن يفور الماء من مستوقد النيران . ولا تنافي بين هذا وبين قوله : { وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا } إذ يمكن أن يراد بالأرض أماكن التناير ، والتفجير غير الفوران ، فحصل الفوران للتنور ، والتفجير للأرض . والضمير في فيها عائد على الفلك ، وهو مذكر أنثى على معنى السفينة ، وكذلك قوله : وقال اركبوا فيها . . . وقرأ حفص : من كل زوجين بتنوين ، كل أي من كل حيوان وزوجين مفعول ، واثنين نعت توكيد ، وباقي السبعة بالإضافة ، واثنين مفعول احمل ، وزوجين بمعنى العموم أي : من كل ما له ازدواج ، هذا معنى من كل زوجين قاله أبو علي وغيره . قال ابن عطية : ولو كان المعنى احمل فيها من كل زوجين حاصلين اثنين ، لوجب أن يحمل من كل نوع أربعة ، والزوج في مشهور كلام العرب للواحد مما له ازدواج ، فيقال : هذا زوج ، هذا وهما زوجان ، وهذا هو المهيح في القرآن في قوله تعالى : { ثُمَّ أَنْزَلْنَاهُ آتِافًا وَأَنْزَلْنَاهُ سُرَّاتٍ مِّنْ دُونِهَا وَمَا كَانَ لِلكُّفَّارِ أَن يُعْرَبَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ إِذِ انبَغَذُوا فِيهِ لَحْمَةً وَمِنْ لِلكُّفَّارِ أَن يُعْرَبَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ إِذِ انبَغَذُوا فِيهِ لَحْمَةً } . وقال الأخفش : وق يقال في كلام العرب للاثنتين زوج ، هكذا تأخذه العدديون . والزوج أيضاً في كلام العرب النوع كقوله تعالى : { وَأَنْزَلْنَاهُ سُرَّاتٍ مِّنْ دُونِهَا وَمَا كَانَ لِلكُّفَّارِ أَن يُعْرَبَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ إِذِ انبَغَذُوا فِيهِ لَحْمَةً } وقال تعالى : { سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا } انتهى . . .

ولما جعل المطر ينزل كأفواه القرب جعلت الوحوش تطلب وسط الأرض هرباً من الماء ، حتى اجتمعن عند السفينة فأمره الله أن يحمل من الزوجين اثنين ، يعني : ذكراً وأنثى ليبقى أصل النسل بعد الطوفان . فروي أنه كان يأتيه أنواع الحيوان فيضع يمينه على الذكر ويساره على الأنثى ، وكانت السفينة ثلاث طبقات : السفلى للوحوش ، والوسطى للطعام والشراب ، والعليا له ولمن آمن . وأهلك معطوف على زوجين إن نوحاً كل ، وعلى اثنين إن أضيف ، واستثنى من أهله من سبق عليه القول بالهلاك وأنه من أهل النار . قال الزمخشري : سبق عليه القول أنه يختار الكفر لا لتقديره عليه وإرادته تعالى غير ذلك انتهى . وهو على

طريقة الاعتزال ، والذي سبق عليه القول امرأته واعلة بالعين المهملة ، وابنه كنعان .
ومن آمن عطف على وأهلك ، قيل : كانوا ثمانين رجلاً وثمانين امرأة ، وقيل : كانوا ثلاثة
وثمانين . وقال ابن عباس : آمن معه ثمانون رجلاً ، وعنه ثمانون إنساناً ، ثلاثة من بنيه
سام وحام ويافت ، وثلاث كنان له ، ولما خرجوا من السفينة بنوا قرية تدعى اليوم قرية
الثمانين بناحية الموصل . وقيل : كانوا ثمانية وسبعين ، نصفهم رجال ، ونصفهم نساء .
وقال ابن إسحاق : كانوا عشرة سوى نسائهم : نوح ، وبنوه سام وحام ويافت ، وستة ناس من
كان آمن به وأزواجهم جميعاً . وعن ابن إسحاق : كانوا عشرة : خمسة رجال ، وخمس نسوة .
وقيل : كانوا تسعة ونوح ، وثمانية أبناء له وزوجته . وقيل : كانوا ثمانية ونوح وزوجته
غير التي عوقبت ، وبنوه الثلاثة وزوجاتهم ، وهو قول : قتادة ، والحكم ، وابن عيينة ،
وابن جريج ، ومحمد بن كعب . وقال الأعمش : كانوا سبعة : نوح ، وثلاث كنان ، وثلاث بنين .
وهذه أقوال متعارضة ، والذي أخبر الله تعالى به أنه ما آمن معه إلا قليل ، ولا يمكن
التنصيص على عدد هذا النفر القليل الذي أبهم الله عددهم إلا بنص عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم) . .

2 ({ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوْحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ